الزبير بن العوام

إعداد

صلاح عبد الحميد

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيـ ع

٥١ ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب : فرسان الإسلام) الزبير بن العوام
(المؤلـــف : صلاح محمد عبد الحميد
الناشـــــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف:
رقم الإيداع : ٨٩٢١
طبعة ثانية : ٢٠١٥

فهرسة أثناء النشر

صلاح محمد عبد الحميد
فرسان الإسلام / صلاح محمد عبد الحميد – القاهرة .- ط١
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع
٨٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك :- ٩٧٧-٦١٦٩-٢٨-٧
١ – الإسلام - تراجم
أ. العنوان ٩٢٢,١

آية قرآنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم

طه 114

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

صحابة رسول الله هم من صحبوا رسول الله محمد بن عبد الله وآمنوا بدعوته. والصحبة في اللغة هي الملازمة والمرافقة والمعاشرة. رافق الصحابة رسول الله محمد بن عبد الله في أغلب فترات حياته بعد الدعوة، وساعدوه على إيصال رسالة الإسلام ودافعوا عنه في مرات عدة. وبعد وفاة رسول الله محمد بن عبد الله قام الصحابة بتولي الخلافة في الفترة التي عرفت بعهد الخلفاء الراشدين ، وتفرق الصحابة في الأمصار لنشر تعاليم الإسلام والجهاد وفتح المدن والدول. وقاد الصحابة العديد من المعارك الإسلامية في بلاد الشام وفارس ومصر وخراسان والهند وبلاد ما وراء النهر.

عن أبو هريرة _رضي الله عنه_ عنه قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) " وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة ، وضيق الحال بخلاف غيرهم ، ولأن إنفاقهم كان في نصرته –صلى الله عليه وسلم– ، وحمايته ، وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم ، وقد قال تعالى (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً)(الحديد:10) وهذا كله مع ما كان فيهم في أنفسهم من الشفقة ، والتودد ، والخشوع ، والتواضع ، والإيثار ، والجهاد في الله حق جهاده ، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ، ولا ينال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"

وقال البيضاوي _رحمه الله تعالى_ : " معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه ، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص ، وصدق النية) " مع ما كانوا من القلة ،

وكثرة الحاجة والضرورة " وقيل " السبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرها ، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلة عدد المتقدمين ، وقلة أنصارهم فكان جهادهم أفضل ، ولأن بذل النفس مع النصرة ، ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها . "

ومما جاء في فضلهم –رضي الله عنهم– حديث عبد الله بن مسعود_ رضي الله عنه_ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال :(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) "وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس ، وصدقوه حين كذبه الناس ، وعزروه ، ونصروه ، وآووه ، وواسوه بأموالهم وأنفسهم ، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام"

ومما جاء في فضلهم ما رواه أبو بردة _رضي الله عنه_ قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) " وهو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في أقطار الأرض"

وها هو أمير المؤمنين علي_ رضي الله عنه_ يصف حال الصحابة فعن أبي راكة قال : صليت خلف علي صلاة الفجر فلما سلم انفلت عن يمينه ثم مكث كأن عليه الكآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال : لقد رأيت أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– فما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون ضمرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله ويراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح فهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم.

فالصحابة هم الذين عرفوا من أحوال رسول الله محمد بن عبد الله ما جعلهم يهرعون إليه ويضعون مقاليدهم بين يديه ينغمسون في فيضه الذي بهر منهم الأبصار وأزال عنهم الأكدار، وصيرهم أهلاً لمجالسته ومحادثته ومرافقته ومخالطته، حتى آثروه على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم، وبلغ من محبتهم له وإيثارهم الموت في سبيل دعوته للإسلام أن هان عليهم اقتحام المنية كراهة أن يجدوه في موقف مؤذ أوكربة يغض من قدره

وهناك عدة ثوابت عند أهل السنة عن الصحابة، منها:

- الصحابة كلهم عدول، لا يجوز تجريحهم ولا تعديل البعض منهم دون البعض.
- الصحابة لم يذكرهم الله في القرآن إلا وأثنى عليهم وأجزل الأجر والمثوبة لهم، ولم يفرق بين فرد منهم وفرد ولا بين طائفة وطائفة. وفيهم يقول النبي محمد) :خيرالقرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)

ولعل من القائد الحوارى الزبير بن العوام من حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم له صفاته الخاصة به وكذلك له حياته الخاصة التى سوف نعرض لها فى هذا الكتاب لإلقاء الضوء على شخصية الصحابى الجليل الزبير بن العوام فى هذه السطور .

المؤلف

من هو الزبير بن العوام؟

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب

بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خ

زيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بنمعد بن عدنان .والعوام وعمته هي أم

المؤمنين خديجة بنت خويلدحواريٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد

المطلب، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، أسلم وهو ابن ثمان سنين مع

أمه وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام.

الزبير بن العوام الأسدي القرشي، ابن عمة النبي محمد، وأبو عبد الله بن

الزبير 594) م656 - م .(ولد سنة 28 قبل الهجرة، وأسلم وعمره اثنتين عشرة سنة، كان

ممن هاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، تزوج أسماء بنت أبي بكر وعمته هي أم

المؤمنين خديجة بنت خويلد .آلت الخلافة لولده الصحابي عبد الله بن الزبير

ولم تقم للزبيريون دولة بعد مقتل عبد الله بن الزبير و مصعب بن الزبير كغيرهم من البيوت القرشيةالأمويين و العباسيين وغيرهم. وآلت إلى آل الزبير بعد ذلك سقاية زمزم نيابة عن خلفاء بني العباس واستمرت فيهم إلى اليوم .

شهد بدرا وجميع غزوات الرسول ,وكان ممن بعثهم عمر بن الخطاب بمدد إلى عمرو بن العاص في فتح مصر وقد ساعد ذلك المسلمين كثيراً لما في شخصيته من الشجاعة والحزم. ولما مات عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة كان الزبير من الستة أصحاب الشورى الذين عهد عمر إلى أحدهم بشؤون الخلافة من بعده.

وصفه

كان خفيف اللحية أسمر اللون، كثير الشعر، طويلاً. كان من السبعة الأوائل في الإسلام.

نسبه

أمه الصحابية الجليلة : صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو ق ريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بنمضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي عمة رسول الله وشقيقة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب.

إخوته ثلاثة كلهم أدركوا الإسلام اثنان منهم أسلما وواحد مات على الشرك:

- السائب بن العوام : أسلم وحضر أحد والخندق واستشهد يوم اليمامة عام 11 هـ وليس له عقب.
- عبد الرحمن بن العوام : كان يؤذي محمد رسول الله وشهد بدر في صفوف المشركين وأسلم يوم فتح مكة عام 8 هـ وكان اسمه في الجاهلية (عبد الكعبة) فسماه رسول الله عبد الرحمن واستشهد يوم اليرموك عام 13 هـ وابنه عبد الله استشهد يوم الدار في بيت عثمان بن عفان عام 35 هـ.

- عبد الله بن العوام : كان وأخوه عبد الرحمن على جمل فوجدا حكيم بن حزام ماشياً وهو ابن عمهما وكان عبد الله أعرج فقال له أخوه عبد الرحمن:أنزل بنا نركب حكيماً فقال:أنشدك الله فإني أعرج فقال:والله لتنزلن عنه ألا تنزل لرجل إن قتلت كفاك وإن أسرت فداك؟ فنزل وأركبا حكيماً على الجمل فنجا حكيم ونجا عبد الرحمن على راحلته وأدرك عبد الله فقتل فمات على الشرك.

الزبير وطلحة

يرتبط ذكرالزبير دوما مع طلحة بن عبيد الله ، فهما الاثنان متشابهان في النشأة والثراء والسخاء والشجاعة وقوة الدين ، وحتى مصيرهما كان متشابها فهما من العشرة المبشرين بالجنة وآخى بينهما الرسول –صلى الله عليه وسلم– ،

ويجتمعان بالنسب والقرابة معه ، وتحدث عنهما الرسول قائلا :(طلحة والزبير جاراي في الجنة) ، و كانا من أصحاب الشورى الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب لإختيار خليفته

اتفق البخاري ومسلم على حديثين له، وانفرد له البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بحديث واحد.

هجرته إلى الحبشة

وهاجر الزبير رضي الله عنه إلى الحبشة ، ولما فُرضت الهجرة إلى المدينة المنورة هاجر إليها وهو ابن ثماني عشرة سنة.

فلما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار "النجاشي" ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار،

وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديدا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل،وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة – رضي الله عنهم- أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل، قالت أم سلمه – رضي الله عنها–: فقال أصحاب رسول الله وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت؟ وكان من أحدث القوم سناً.. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فَدَعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده،،

قالت: فوالله إنا لَعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع ثوبه وهو يقول: ألا أبشِروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده،، وبعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة

قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله ، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه،وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها

زوجاته

كان للزبير بن العوام حوالي سبع زوجات هن:

- أسماء بنت أبي بكر قد ولدت له 5 ذكور و3 إناث.
- زينب بنت مرثد وقد ولدت له ذكرين وأنثى.
- أم خالد بنت خالد بن سعيد واسمها أمة وقد ولدت له ذكران و3 إناث.

- الرباب بنت أنيف وقد ولدت له ذكران وأنثى.
- أم كلثوم بنت عقبة وقد ولدت له أنثى واحدة.
- عاتكة بنت زيد وقد طلقها قبل استشهاده فاستشهد وهي في عدتها.
- تماضر بنت الأصبغ أقام عندها الزبير 7 أيام ثم لم يلبث أن طلقها.

أولاده

كان يسمي أبناءه بأسماء الشهداء:

فأولاده الذكور هم:

- عبد الله بن الزبير من أسماء بنت أبي بكر.
- عروة بن الزبير من أسماء بنت أبي بكر.
- المنذر بن الزبير من أسماء بنت أبي بكر.

- عاصم بن الزبير من أسماء بنت أبي بكر وقد مات قبله.
- المهاجر بن الزبير من أسماء بنت أبي بكر ولم يذكر عنه شيء.
- جعفر بن الزبير من زينب بنت مرثد.
- عبيدة بن الزبير من زينب بنت مرثد.
- عمرو بن الزبير من أم خالد بنت خالد بن سعيد.
- خالد بن الزبير من أم خالد بنت خالد بن سعيد.
- مصعب بن الزبير من الرباب بنت أنيف.
- حمزة بن الزبير من الرباب بنت أنيف.

وأولاده الإناث هن:

- خديجة بنت الزبير من أسماء بنت أبي بكر.
- أم الحسن بنت الزبير من أسماء بنت أبي بكر.
- عائشة بنت الزبير من أسماء بنت أبي بكر.
- حفصة بنت الزبير من زينب بنت مرثد.
- حبيبة بنت الزبير من أم خالد بنت خالد بن سعيد.
- سودة بنت الزبير من أم خالد بنت خالد بن سعيد.
- هند بنت الزبير من أم خالد بنت خالد بن سعيد.
- رملة بنت الزبير من الرباب بنت أنيف.
- زينب بنت الزبير من أم كلثوم بنت عقبة.

مناقب عبد الله بن الزبير

- كان أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله :فعن عروة وابن المسيب قالا: أول رجل سلَّ سيفه في الله الزبير، وذلك أن الشيطان نفخ نفخة، فقال: أُخذ رسول الله. فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي بأعلى مكة.

- حواري رسول الله :فعن جابر بن عبد الله قال: قَال النَّبِيُّ يوم الأَحْزَاب: "مَنْ يأْتيني بِخَبرِ الْقَومِ؟" قَال الزُّبير : أَنَا. ثُمَّ قَال: "مَنْ يأْتيني بِخبرِ الْقَومِ؟" قَال الزُّبير : أَنَا. فقَال النَّبِيُّ : "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍ حوارِيًّا، وحوارِيَّ الزُّبير."

- نزلت بسيماه الملائكة :فعن عروة بن الزبير –رضي الله عنهما– قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير.

- في "يوم قريظة" جمع له رسول الله بين أبويه؛ فعَنْ عبْد اللَّه بنِ الزُّبيرِ –رضي الله عنهما– عنِ الزُّبيرِ قَال: جمع لِي رسولُ اللَّه أَبويه يوم قُريظَة، فقَال: "بِأَبِي وأُمِّي""

الزبير بن العوام متوكلا على الله

ان توكله على الله منطلق جوده وشجاعته وفدائيته، وحين كان يجود بروحه أوصى ولده عبد الله بقضاء ديونه قائلاً: "إذا أعجزك دين، فاستعن بمولاي". فسأله عبد الله : "أي مولى تعني؟" فأجابه: "الله، نعم المولى ونعم النصير". يقول عبد الله فيما بعد: فوالله ما وقعت في كربةٍ من دَيْنِه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقضِ دينه. فيقضيه.

أسلم الزبير بن العوام وعمره خمس عشرة سنة ، وكان من السبعة الأوائل الذين سارعوا بالإسلام ، وقد كان فارسا مقداما ، وإن سيفه هو أول سيف شهر بالإسلام ، ففي أيام الإسلام الأولى سرت شائعة بأن الرسول الكريم قد قتل ، فما كان من الزبير إلا أن استل سيفه وامتشقه ، وسار في شوارع مكة كالإعصار ،وفي أعلى مكة لقيه الرسول -صلى الله عليه وسلم- فسأله ماذا به ؟000فأخبره النبأ000 فصلى عليه الرسول ودعا له بالخير ولسيفه بالغلب

إيمانه وصبره

كان للزبير -رضي الله عنه- نصيبا من العذاب على يد عمه ، فقد كان يلفه في حصير ويدخن عليه بالنار كي تزهق أنفاسه ، ويناديه :(اكفر برب محمد أدرأ عنك هذا العذاب) فيجيب الفتى الغض :(لا والله ، لا أعود للكفر أبدا) ويهاجر الزبير الى الحبشة الهجرتين ، ثم يعود ليشهد المشاهد كلها مع الرسول -صلى الله عليه وسلم-

وكا ن الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه واحداً ممن سلَّ سيفه دفاعا عن رسول الله، ففي "حلية الأولياء" أن الزبير سمع نفحة نفحها الشيطان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُخِذَ بأعلى مكة، فخرج الزبير رضي الله عنه يشق الناس بسيفه حتى أتى أعلى مكة فلقيه فقال صلى الله عليه وسلم: "ما لك يا زبير" فقال: أُخبرتُ أنك أُخِذتَ، فأتيتُ أضرب بسيفي من أخذك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان بذلك أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي حواريٌّ وحواريَّ الزبير" وكان الزبير رضي الله عنه ءانذاك كما ذكر الذهبي في "سير أعلام النبلاء" ابن اثنتي عشرة سنة وقد قال موسى بن طلحة: كان عليٌّ والزبير وطلحة وسعد عِذار عام واحد أي ولدوا في سنة واحدة وقال المدائني: كان طلحة والزبير وعلي أترابا وكان عمه يعلقه ويدخّن عليه وهو يقول: لا أرجع إلى الكفر أبدا.

شهد الزبير رضي الله عنه الغزوات والمشاهد كلها مع رسول الله وبايعه على الموت في سبيل الله وثبت معه يوم بدر ويوم أُحد وكانت معه إحدى رايات المهاجرين يوم غزوة الفتح، فلما دخل المسلمون مكة المكرمة يوم الفتح كان الزبير رضي الله عنه على المجنَّبة اليسرى، وكان المقداد بن الأسود على المجنَّبة اليمنى، فجاءا بفرسيهما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهيهما بثوبه وقال: " إني قد جعلت للفرس سهمين وللفارس سهما، فمن نقَصهما نقَصه الله".

ولما كانت غزوة بدر الكبرى كان على الزبير عمامة صفراء فنزل جبريل والملائكة على سيماء الزبير، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد عن عمرو بن عاصم الكلابي عن همام عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت على الزبير ريطة صفراء معتجرا بها يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير".

وفي البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق: "من يأتيني بخبر القوم" فقال الزبير: أنا، فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم ثانية وثالثة والزبير يقول: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ: "لكل نبي حواريٌّ وحواري الزبير".

وفي "سير أعلام النبلاء" للذهبي عن يونس بن بكِير عن هشام عن أبيه عن الزبير أنه قال: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: "لكل نبي حواريٌّ وحواريَّ الزبير وابن عمتي". وقد أخرجه ابن سعد في طبقاته وصححه الحاكم في مستدركه.

والحواريُّ في اللغة هو الناصر أو ناصر الأنبياء كما ذكر صاحب القاموس وقال مصعب الزِبيري: هو الخالص من كل شيء وقال الكلبي: الحواريُّ: الخليل.

وفي طبقات ابن سعد بالإسناد عن هشام بن عروة أن غلاما مر بابن عمر فسئل من هو فقال: أنا ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عمر: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا فسئل ابن عمر: هل كان أحد يقال له حواريٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الزبير؟ فقال: لا أعلمه.

حبه للشهادة

كان الزبير بن العوام شديد الولع بالشهادة ، فهاهو يقول :(إن طلحة بن عبيد الله يسمي بنيه بأسماء الأنبياء ، وقد علم ألا نبي بعد محمد ، وإني لأسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون).

وهكذا سمى ولده عبد الله تيمنا بالشهيد عبد الله بن جحش وسمى ولده المنذر تيمنا بالشهيد المنذر بن عمرو وسمى ولده عروة تيمنا بالشهيد عروة بن عمرو وسمى ولده حمزة تيمنا بالشهيد حمزة بن عبد المطلب وسمى ولده جعفرا تيمنا بالشهيد جعفر بن أبي طالب وسمى ولده مصعبا تيمنا بالشهيد مصعب بن عمير وسمى ولده خالدا تيمنا بالشهيد خالد بن سعيد وهكذا أسماهم راجيا أن ينالوا الشهادة في يوم ما000

جهاد الزبير فى غزوة بدر

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير قال: قال الزبير :لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات.

قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطأت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها. قال عروة: فسأله إياها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأعطاه، فلما قبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل.

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، إحداهن في عاتقه، قال: إن كنت لأدخل أصابعي فيها، قال: ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة في اليرموك.

قال عروة: وقال لي عبدالملك بن مروان حين قتل عبدالله بن الزبير: يا عروة، هل تعرف سيف الزبير؟ قلت: نعم، قال: فما فيه؟ قلت: فيه فلة فلها يوم بدر، قال: صدقت، بهن فلول من قراع الكتائب، ثم رده على عروة. قال هشام: فأقمناه بيننا ثلاثة آلاف، وأخذه بعضنا، ولوددت أني كنت أخذته.

قال الحافظ في الفتح: قوله: صدقت بهن فلول من قراع الكتائب هذا شطر من بيت مشهور من قصيدة مشهورة للنابغة الذبياني، وأولها:

كليني لهمٍ يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

وهو من المدح في معرض الذم، لأن الفل في السيف نقص حسي لكنه لما كان دليلاً على قوة ساعد صاحبه، كان من جملة كماله .

وفي رواية أخرى عن عروة قال: وكان سيف الزبير بن العوام محلى بفضة

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير :أن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟

فقال: إني إن شددت كذبتم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلاً .

الزبير في غزوة أحد

الخطبة الأولى

كان الحديث في الشهر الماضي عن غزوة بدر الكبرى التي وقعت في شهر رمضان واليوم نتحدث عن غزوة أحد التي وقعت في مثل هذا الشهر شهر شوال.

ازداد المشركون غيظاً وحنقاً على الإسلام والمسلمين بعد هزيمتهم النكراء في غزوة بدر التي قتل فيها صناديدهم وأشرافهم فاتفقوا على أن يقوموا بحرب شاملة ضد المسلمين تشفي غيظ قلوبهم وتروي غليل حقدهم فأخذوا في الاستعداد لخوض هذه المعركة وكان من تبقى من زعمائهم وصناديدهم أكثر حماساً وأقوى نشاطاً لخوض المعركة وأول ما فعلوه في هذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي نجا بها أبو سفيان والتي كانت سبباً لمعركة بدر

وقالوا للذين كانت لهم فيها أموال إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً فأجابوهم لذلك فأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾]الأنفال: 36] ثم فتحوا باب التطوع لكل من أحب المساهمة في غزو المسلمين فاجتمع إليهم نحو 3000 مقاتل بينهم خمسة عشر امرأة ومعهم 3000 بعير ومائتا فرس وسبعمائة درع وسلموا القيادة العامة لأبي سفيان وقيادة الفرسان لخالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبي جهل.

تحرك الجيش الوثني نحو المدينة يعلوه الغيظ والحنق مما وقع لهم في بدر من الهزيمة والقهر ولكن استخبارات المسلمين لم تكن بمنأى عن تحركات قريش وجيشها فأرسل العباس بن عبد المطلب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – رسالة عاجلة يخبره فيها بتحرك الجيش نحو المدينة فوصلت الرسالة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو في مسجد قباء

فأمر أبي بن كعب أن يقرئها ثم انطلق – صلى الله عليه وسلم – إلى قادة المهاجرين والأنصار ليتناول معهم الرأي نحو هذا الأمر فاستعد المسلمون لهذا التحرك الطارئ استعداد عظيماً وأعلنوا حالة الاستنفار التام وأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – الرجال أن يحملوا سلاحهم حتى وهم في الصلاة. وقامت مفرزة من الأنصار بحراسة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقامت مفارز أخرى بحراسة مداخل المدينة خوفاً من أن يؤخذوا على غرة وقامت دوريات أخرى بالتجول حول الطرق لاكتشاف تحركات العدو.

وأما جيش المشركين فقد واصل زحفه نحو المدينة حتى بلغ الأبواء ثم اقترب من المدينة حتى نزل قريباً من جبل أحد وكان ذلك في يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة.

عقد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مجلساً استشارياً عسكرياً تبادل فيه الرأي لاختيار الموقف وأخبرهم – صلى الله عليه وسلم – أنه رأى رؤيا في المنام فقال رأيت بقراً يذبح ورأيت في ذُباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فتأول – صلى الله عليه وسلم – البقر يذبح بـنفر من أصحابه يقتلون وتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته وتأول الدرع بالمدينة، ثم قدم – صلى الله عليه وسلم – رأيه إلى صحابته بأن يتحصنوا في المدينة ولا يخرجوا منها فإن المشركين إن أقاموا في معسكرهم أقاموا بشر مقام وبغير جدوى وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت ووافق على هذا الرأي كبار الصحابة وبادر جماعة من الصحابة ممن فاتهم الخروج يوم بدر فأشاروا على النبي – صلى الله عليه وسلم – بالخروج وألحوا عليه في ذلك حتى قال قائلهم يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه إلينا أخرج إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم فتنازل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن رأيه مراعاة لهؤلاء واستقر الرأي على الخروج من المدينة وملاقاة العدو في مكان تعسكره ثم صلى – عليه الصلاة والسلام – بالناس صلاة الجمعة فوعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وحثهم على التهيؤ للقاء عدوهم ففرح الناس بذلك

ثم دخل – صلى الله عليه وسلم – بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر فعمماه وألبساه لباس الحرب فتدجج – صلى الله عليه وسلم – ولبس درعاً فوق درع وتقلد سيفه ثم خرج على الناس وكانوا ينتظرون خروجه وقد قال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن خضير أكرهتم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الخروج فردوا الأمر إليه وارجعوا إلى رأيه في البقاء في المدينة فندموا جميعاً على ما صنعوا فلما خرج – صلى الله عليه وسلم – قالوا يا رسول الله لعلنا أكرهناك ما كان لنا أن نخالفك فإن أحببت أن تمكث بالمدينة فأفعل فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما كان لنبي إذا لبس لامة الحرب أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

وقسم – صلى الله عليه وسلم – جيشه إلى ثلاثة كتائب وكان عددهم ألف مقاتل لم يكن فيهم من الفرسان أحد ورد – صلى الله عليه وسلم – من استصغره ولم يره مطيقاً للقتال مثل عبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وأبو سعيد الخدري وغيرهم من صغار الصحابة واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ليصلي بمن بقي في المدينة ثم بات – صلى الله عليه وسلم – بالجيش بين أحد والمدينة وأختار خمسين رجلاً لحراسة المعسكر

حيث كان بمقربة من جيش العدو يراهم ويرونه وقبل طلوع الفجر بقليل اشرئب النفاق وتمرد المنافقون فقام زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وقال لا ندري علام نقتل أنفسنا وأحتج بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ترك رأيه وأطاع رأي غيره فانسحب وسحب معه ثلاثمائة مقاتل ولا شك أن السبب الذي أظهره هذا المنافق من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ترك رأيه وأطاع رأي غيره ليس هو السبب الحقيقي إذ لو كان هذا هو السبب الحقيقي لما خرج منذ البداية ولكنه الخور والجبن والنفاق أراد أن يشق العصا وأن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم بينما العدو يتشجع وتعلو همته وكاد بنو سلمة وبنو الحارث أن يتبعوه ولكن الله سبحانه وتعالى ثبتهما وتولاهما قال تعالى ﴿ إِذْ همَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلَا واللَّهُ ولِيُّهما وعلَى اللَّه فَلْيَتَوكَّلِ الْمؤْمِنُونَ ﴾]آل عمران: 122.[

رجع الخبيث ومعه ثلاثمائة من المنافقين فتبعهم عبد الله بن حرام – والد جابر بن عبد الله– فذكرهم بخطر الانسحاب في هذا الموقف الشديد وهذا الظرف المحرج وقال لهم ﴿ تَعَالَوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعنَاكُم هُم لِلْكُفرِ يَومَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم واللَّهُ أَعلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾] {آل عمران: 167، 168.[

وبعد هذا التمرد والانسحاب قام –صلى الله عليه وسلم– في بقية الجيش وهم سبعمائة مقاتل فعبأهم وهيأ صفوفهم واختار منهم فصيلاً من الرماة الماهرين قوامهم خمسون راميا وأعطى قيادتهم لعبد الله بن جبير وأمرهم – صلى الله عليه وسلم – أن يثبتوا في أماكنهم وأن لا يخرجوا منها وقال لهم اثبتوا مكانكم لا نؤتى من قبلكم لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا وقال لهم – صلى الله عليه وسلم – احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا أماكنكم حتى أرسل إليكم وكان هدفه – صلى الله عليه وسلم – من هذا الأمر حتى يسد الثلمة الوحيدة التي يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا منها إلى صفوف المسلمين

حتى لا يقوموا بالالتفاف عليهم وكانت خطة حكيمة ودقيقة تجلت فيها عبقرية القيادة العسكرية عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يمكن لقائد مهما علت كفاءته ورتبته أن يضع خطة أدق ولا أحكم من هذه الخطة ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾]التوبة: 120..[

الخطبة الثانية

جعل – صلى الله عليه وسلم – على الميمنة المنذر بن عمرو وعلى الميسرة الزبير بن العوام يسانده المقداد بن الأسود وحرض أصحابه على القتال وحثهم على المصابرة والجلد وأخذ ينفث روح الحماسة والبسالة فيهم حتى أنه – صلى الله عليه وسلم – جرد سيفاً باتراً فنادى فيهم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال ليأخذوه منهم عمر وعلي والزبير بن العوام

حتى قام إليه أبو دجانة" سماك بن خراش "فقال وما حقه يا رسول الله فقال أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني فعصب أبو دجانة على رأسه عصابة حمراء كان إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت ثم خرج يتبختر في مشيته بين الصفين فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن.

وقبل نشوب المعركة حاول المشركون إيقاع الفرقة والنزاع بين المسلمين حيث أرسلوا رسولاً إلى الأنصار– وهم أهل المدينة– يقولون لهم خلو بيننا وبين عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا في قتالكم ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل حيث رد عليهم الأنصار رداً عنيفاً واسمعوا رسول قريش ما يكره ثم تدانت الفئتان وتقارب الجمعان فكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة العبدري كان من أشجع فرسان قريش يسميه المسلمون كبش الكتيبة خرج طلحة العبدري وهو راكب على جمله يدعوا إلى المبارزة فأحجم الناس عن مبارزته لفرط شجاعته فتقدم إليه الزبير بن العوام فوثب عليه وثبة الليث وقفز إليه قفزة الأسد حتى صار معه على جمله فألقاه على الجمل فأقتحم به الأرض فذبحه بالسيف

فلما رأى النبي جعل – صلى الله عليه وسلم – هذا المصرع الرائع كبر وكبر المسلمون وراءه وأثنى على الزبير وقال في حقه " إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير " فحمل لواء المشركين بعد طلحة العبدري أخوه عثمان العبدري فتقدم إليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه حتى وصلت إلى سرته فبانت رئته فمات فحمل اللواء بعده أخوه أبو سعد العبدري فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم في حنجرته فمات لحينه فحمل اللواء بعده أخوه مسافع العبدري فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله فحمل اللواء بعده أخوه كلاب العبدري فانقض عليه الزبير فقاتله حتى قتله فحمل اللواء بعده أخوه الجلاس العبدري فطعنه طلحة بن عبد الله طعنة قضت عليه.

هؤلاء ستة نفر من بيت واحد قتلوا جميعاً حول لواء المشركين ثم حمله أربعة من بعدهم أبيدوا عن بكرة أبيهم فسقط لواء المشركين على الأرض وبقي ساقطاً لم يحمله أحد.

اندلعت نيران المعركة، واشتد القتال في كل نقطة من نقاط الميدان وفي هذه الأثناء وعند احتدام القتال رمى وحشي بن حرب وكان عبداً حبشياً مملوكاً لجبير بن مطعم قال له جبير إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق فخرج مع الجيش ليس له هدف إلا قتل حمزة فتتبعه حتى رماه بسهم قتل رضي الله تعالى عنه على إثره. وبرغم هذه الخسارة الفادحة بمقتل عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب إلا أن المسلمين ظلوا مسيطرين على الموقف كله وقاتلوا قتالاً فل عزائم المشركين وفت أعضادهم وكان من الأبطال المغامرين يومئذ رجل يقال له حنظلة بن أبي عامر خرج وهو حديث عهد بعرس فلما سمع هواتف الحرب وهو على امرأته انخلع من أحضانها وقام من فوره إلى جيش المسلمين فقاتل حتى قتل فسمي" حنظلة الغسيل."

وهكذا دارت معركة أحد وكان وقودها الأول حملة لواء أهل مكة بني عبد الدار، فخرج طلحة بن أبي طلحة وكان شديد الباس قوي البنية، فتقدم على جمل وسط الميدان ونادى للمبارزة، فلم يخرج أحد وساد صمت شديد، فوثب له الزبير بن العوام قبل أن ينيخ جمله حتى صار معه على الجمل ثم أسقطه أرضا وذبحه من رقبته، فكبر وكبر معه الرسول والمسلمون.

دارت رحى الحرب لصالح المسلمين فخارت عزائم المشركين وأخذت جموعهم تتبدد ذات الشمال وذات اليمين.

وبينما كان الجيش الإسلامي يسجل مرة أخرى نصراً حاسماً على المشركين لم يكن أقل روعة من النصر الـ ذي كسبه يوم بدر وقعت من الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تماماً وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة، حيث تركوا أماكنهم وخرجوا من الجبل حينما رأوا المسلمين يجمعون غنائم العدو فقال بعضهم لبعض الغنيمة الغنيمة فذكرهم قائدهم عبد الله بن جبير بأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعدم الخروج وقال لهم أنسيتم ما قال لكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكن الأغلبية الساحقة لم تلقي لتذكيره بالاً فخلت ظهور المسلمين ولم يعد يحمي ظهورهم أحد فأنتهز الفرصة خالد بن الوليد بسرعة خاطفة ودار من خلف الجبل فأباد من تبقى من الرماة على ظهر الجبل ثم انقلبوا على المسلمين فأحيط المسلمون من الأمام والخلف ووقعوا بين عدوهم

وتفاجئوا بانقلاب رحى الحرب ضدهم فرفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صوته قائلاً لهم " إلي عباد الله" وهو يعرف – صلى الله عليه وسلم – أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق فحوصر – صلى الله عليه وسلم – ورمي بالحجارة فشج وجهه حتى سال الدم من وجهه الشريف – صلى الله عليه وسلم – وأصيبت رباعيته وجرحت شفته وضرب على وجنته حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجهه – صلى الله عليه وسلم – فمسح الدم من على وجهه وهو يقول كيف يفلح قوماً شجوا وجه نبيهم فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾]آل عمران: 128[

ثم سمع الناس صائحاً يصيح أن محمداً قد قتل فوقع في صفوف المسلمين ارتباك شديد وطار صواب طائفة منهم وكادت أن تنهار نفوسهم وتوقف من توقف عن القتال فمر أنس بن النضر فقال لهم ما تنتظرون فقالوا قتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال إلى أين يا أبا عمر فقال أنس واهاً لريح الجنة يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد ثم مضى فقاتل المشركين حتى قتل فما عرف من بين الشهداء حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم.

وبمثل هذا الاستبسال وهذا التشجيع عادت إلى المسلمين روحهم المعنوية ورجع إليهم رشدهم وصوابهم فأخذوا أسلحتهم وتركوا القعود والاستسلام وهاجموا المشركين من جديد وقد بلغهم أن خبر مقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – خبر مختلق لا صحة له فزادهم ذلك قوة إلى قوتهم فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾]آل عمران: 179.[

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

حديث بن الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال] : ص [78 :والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدا قد قتل ؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم قال ابن هشام : الصارخ : أزب العقبة ، يعني الشيطان

قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبي أبويه يوم أحد، وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة،،

" وجدت في البخاري حديث واحد فقط يقول ان سيدنا رسول الله جمع للزبير ابويه وقال فداك ابي وامي وباقي الاحاديث –اكثر من سته احاديث تجمع ان سيدنا رسول الله صلي الله عليه واله وصحبه وسلم لم يجمع لاحد ابويه الا سعد بن ابي وقاص وفي احاديث اخري لسعد بن مالك – والله اعلم"

فقد اتصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى،،وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال،،وشرع رسول الله يشحذ همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياته وأخذ سيفًا وقال: من يأخذ منى هذا؟فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا – وكان من ضمنهم الزبير– قال: فمن يأخذه بحقه؟

فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني..

قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعا يختال عند الحرب – أي يمشى مشية المتكبر-

وحين رآه رسول الله يتبختر بين الصفين قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن..

ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراءفعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت – وهكذا كانت تقول له إذا تعصب – فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول

فانظروا عباد الله:

مخالفة واحدة قلبت كفة المعركة وحولت النصر إلى هزيمة وحصل بسببها ما حصل فلما تساءل الناس لماذا تحول النصر إلى هزيمة وكيف انقلبت كفة المعركة وكيف حصل هذا أجابهم رب الأرباب بقوله ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾]آل عمران: 165.[

الزبير فى غزوة الخندق

لكل نبي حواري وحواريي الزبير: قال رسول الله يوم الخندق: من يأتينا بخبر بنى قريظة؟

فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة،

فقال النبي: "لكُلِّ نبي حواري، وحواريَّي الزبير"، ومعنى قوله: وحواريي الزبير: أي: خاصتى من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام،،

أي خلصاؤه وأنصاره، فالحواري هو الناصر المخلص، فالحديث أشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير،،

رضي الله عنه، ولذلك سمع عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا..

وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام

خلصاء فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: من يأتيني بخبر القوم؟

قال الزبير: أنا، قال: من يأتيني بخبر القوم؟ فقال: أنا، وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره ،،

، وقد فداه رسول الله يوم الأحزاب بأبيه وأمه؛ فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبى سلمه في النساء

فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بنى قريظة مرتين أو ثلاثًا فلما رجعت قلت:

يا أبت رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بنى؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله قال: من يأتي بنى قريظة فيأتيني بخبرهم؟

فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله أبويه فقال: فداك أبي وأمي وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير، رضي الله عنه،،حيث فداه رسول الله بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله، واعتبار بأمره،،وذلك لأن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه، فيبذل نفسه أو أعز أهله له.

لقد نال الزبير في غزوة الخندق وساما خالدا باقيا على مر السنين لقد وصف النبي ،، الزبير بالحواري، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها،

وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة،لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيرا في نشر المبادئ والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها،،

وأثبتت الأيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام فكُلف بمهمة كشف أسرار العدو،وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدعاة كل حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته هذا

وقد شارك الزبير في كل غزوات الرسول وكانت له مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة رضي الله عنه.

الزبير في غزوة اليرموك ويوم حنين

كانت المعركة الفاصلة ضد الروم وكان عدد جيش الروم أكثر من 200 ألف. عن ابن المبارك :أنبأنا هشام عن أبيه أن أصحاب رسول الله قالوا للزبير: "ألا تشد معك قال إني إن شددت كذبتم", فقالوا: "لا نفعل", فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد, ثم رجع مقبلا فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين ضربة على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر ,قال عروة: "فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير", وقيل أن هذه الوقعة هي يوم اليمامة.

عن عروة أن أصحاب رسول الله قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟

فقال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر..

قال عروة: أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكّل به رجلاً قال الذهبي في السِّير معلقًا: هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله،،فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين , وذكر ابن كثير أن الموقعة هي "اليرموك" ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين ،،فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد "اليرموك" الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة،وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟

فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو،،فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى ،وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية: جرح.ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهدا، فشهد اليرموك ،،

فشّرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى أخرهم..

الزبير وبنو قريظة

وفي يوم الخندق قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– :(من رجل يأتينا بخبر بني قريظة ؟)000فقال الزبير :(أنا)000فذهب ، ثم قالها الثانية فقال الزبير :(أنا)000فذهب ، ثم قالها الثالثة فقال الزبير :(أنا)000فذهب ، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– :(لكل نبي حوارِيٌّ، والزبير حواريَّ وابن عمتي).

وحين طال حصار بني قريظة دون أن يستسلموا للرسول – صلى الله عليه وسلم – ، أرسل الرسول الزبير وعلي بن أبي طالب فوقفا أمام الحصن يرددان:(والله لنذوقن ماذاق حمزة ، أو لنفتحن عليهم حصنهم)000ثم ألقيا بنفسيهما داخل الحصن وبقوة أعصابهما أحكما وأنزلا الرعب في أفئدة المتحصنين داخله وفتحا للمسلمين أبوابه.

الزبير فى يوم حنين

وفي يوم حنين أبصر الزبير (مالك بن عوف) زعيم هوازن وقائد جيوش الشرك في تلك الغزوة ، أبصره واقفا وسط فيلق من أصحابه وجيشه المنهزم ، فاقتحم حشدهم وحده ، وشتت شملهم وأزاحهم عن المكمن الذي كانوا يتربصون فيه ببعض المسلمين العائدين من المعركة.

الزبير في فتح مصر

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ،، ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثنى عشر ألفاً، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، ، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة ابن مخلد، وقال آخرون:

خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف..

وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال، وحين قدم الزبير على عمرو، وجده محاصرا حصن بابليون ،، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق،،

وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص،، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلما وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد،، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف،، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفاً من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا،، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحة المعركة الحاسمة لفتح مصر،، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس.

و حان وقت الرحيل..وشهادة رسول الله له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام، رضي الله عنه، من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بيّنا الأسباب في تركه لساحة المعركة،،وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَرك الأمور التي أخشى عواقبها

في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمتَ لو أن علمي نافعى

وبعدأن الحياة من الممات قريب

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بنى تميم فيقال:

إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة،، فقال: ادن، فقال مولى الزبير – واسمه عيطة-: إن معه سلاحا. فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة..

فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلى بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القائلة، فهجم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر،،ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها، وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها،،وكانت قبله تحت عبد الله بن أبى بكر الصديق فقتل عنها، فلما قُتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة

يوم اللقاء وكان غر معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته

لا طائشاً رعشَ الجنان ولا اليد

ثكلتك أمُّك أن ظفرتَ بمثله

ممن بقى ممن يروح ويغتدي

كم عمرة قد خاضها لم يثنه

عنها طرادك يا ابن فقع العردد

والله ربي إن قتلت لمسلما

حلت عليك عقوبة المتعمد

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى على، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن

فقال علي: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال على: سمعت رسول الله يقول: "لكل نبي حواري وحواريي الزبير ولما رأى على سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ،،وفي رواية: منع أمير المؤمنين على ابن جرموز من الدخول عليه،

وقال: بشر قاتل ابن صفية بالناروبقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد على،،
وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن
عمرو بن جرموز ههنا وهو مختف، فهل لك فيه؟

فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيدللزبير منه، فهو أحقر من أن أجعله
عدلاً للزبير هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيداً، فعن أبى هريرة أن
رسول الله كان على جبل حراء،، فتحرك فقال رسول الله "اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو
صديق أو شهيد "

وعليه النبي وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضي الله عنهم قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ،، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم – غير النبي وأبى بكر – شهداء، فإن عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير – رضي الله عنهم– قُتلوا ظلما شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركَا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال،، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قُتل مظلوما فهو شهيدقال الشعبي: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون:

علىٌّ وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين ومن أهل بيعة الرضوان،،ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورزقوا الشهادة،، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قَتلوا الأربعة..

الزبير وموقعة الجمل

قبل الدخول في أحداث معركة الجمل نتناول بعض الشبهات والأسئلة ونرد عليها..

الشبهة1 :مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم تكن مبايعة شرعية، ومن ثَم يحق لمعاوية رضي الله عنه ألا يبايع عليا رضي الله عنه، خاصة أن من بايعه إنما هم أهل الفتنة، ومبايعتهم غير شرعية وغير جائزة.

الرد على الشبهة 1:

معظم الناس، وخاصة كبار الصحابة، وهم أهل الحل، والعقد، هم الذين بايعوا عليا رضي الله عنه، ومنهم أيضا طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام رضي الله عنه اللذين كانا يطالبان بدم عثمان، أولًا قد بايعا، وبايع أيضا أهل الفتنة، ومبايعتهم في هذا الإطار لا تقدم، ولا تؤخر بعد مبايعة أهل الحل والعقد من الصحابة، ولكن ما حدث أن الرؤى توافقت في هذا التوقيت، فقد كان أهل الفتنة يريدون تولية علي رضي الله عنه،

وكان يريد ذلك أيضا جميع أهل المدينة، ولم يعترض أحد على تولية علي بن أبي طا لب رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لم يكن يعترض مطلقًا على تولية علي رضي الله عنه، ولكن كان الاختلاف في ترتيب الأولويات؛ فمعاوية رضي الله عنه يريد القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه يريد استقرار الدولة أولًا، ثم يرى رأيه فـ ي أهل الفتنة، ويقتل منهم من يستحق القتل، ويعزر من يستحق التعزير بعد أن تقوى شوكة المسلمين، وتزول الفتن القائمة.

الكل إذن على اتفاق على تولية علي رضي الله عنه، ونذكر في هذا الإطار أن عليا رضي الله عنه كان مرشحا للخلافة مع عثمان رضي الله عنه، ولم يعدل أهل المدينة به، وبعثمان رضي الله عنهما أحدا، ولكن كان هناك إجماع على تولية عثمان رضي الله عنه في ذلك التوقيت، فمن الطبيعي أن يتولّى علي رضي الله عنه الإمارة بعد عثمان رضي الله عنه، خاصة بعد أن أجمع أهل الحل والعقد على توليته.

سؤال: كيف يتم اختيار أهل الحل والعقد؟

الإجابة :أهل الحل والعقد في هذه الفترة كانوا هم كبار الصحابة من المهاجرين، والأنصار، وأهل بدر، وكان هؤلاء هم أهل الحل والعقد منذ عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وحتى هذا الوقت، وقت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان يتجمع هؤلاء جميعا رضي الله عنهم، ويأخذون القرارات المهمة التي لا يستطيع الوالي أن يأخذ فيها قرارا بذاته، وبالأولى إذا لم يكن هناك والٍ، ويراد تولية أحد ليكون واليا على أمر الأمة.

سؤال: لماذا لم يشترك علي ومعاوية رضي الله عنهما في قتل القتلة أولاً، ثم يتم بعد ذلك اختيار الخليفة، ومبايعته؟

الإجابة : اختيار الخليفة ومبايعته أهم بكثير من قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، وذلك لأن البلاد لا تسير دون خليفة، أو أمير، فكيف يتم قتل هؤلاء القتلة ومن المتوقع حدوث حرب ضارية وكبيرة على مستوى الدولة الإسلامية كلها؟

ورأينا كيف قُتل ستمائة من المسلمين في البصرة وحدها، فكيف لو كان الأمر في غيرها من البلاد أيضا؟

ثم إنه إذا حدثت الحرب، وحدث القتال مع أهل الفتنة، فمن بيده أن يصدر قرارا باستمرار الحرب أو وقفها، هل هو علي بن أبي طالب أم معاوية أم السيدة عائشة أم طلحة أم الزبير رضي الله عنهم جميعا؟

ثم إذا حدث أن دولة معادية للدولة الإسلامية استغلت نشوب القتال بين المسلمين وأهل الفتنة في الداخل، وهاجموا الدولة الإسلامية، فمن بيده القرار حينئذ؟

وهل يتم وقف الحرب مع أهل الفتنة، وقتال المهاجمين من الخارج، أم يقاتلوا في الجبهتين داخليا وخارجيا؟ ومن الذي يستطيع أن يأخذ هذا القرار ولا يوجد خليفة للمسلمين؟

لا شك أن الأمر سيكون في منتهى الخطورة،

ثم إنه عند تعارض مصلحتين تُقدم الأكثر أهمية فيهما، وتُؤخر الأخرى لوقتها، وإذا تحتّم حدوث أحد الضررين تم العمل بأخفهما ضررا تفاديا لأعظمهما.

وفي تلك الفترة حدث أمر عظيم كان من الممكن أن يودي بالدولة الإسلامية كلها ولكن الله سلّم.

رأى قسطنطين ملك الدولة الرومانية ما عليه حال الدولة الإسلامية بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجمع السفن وأتى من البحر متوجها إلى الشام للهجوم على الدولة الإسلامية، وبينما هو في الطريق إلى المسلمين، وكانت الهلكة محققة للمسلمين إن وصل إليهم نظرا لما هم عليه من الفتن والحروب بينهم وبين بعضهم، ولكن الله تعالى بفضله ومنّه وكرمه أرسل على تلك السفن قاصفاً من الريح، فغرق أكثر هذه السفن قبل الوصول إلى الشام، وعاد من نجا منهم، ومعهم قسطنطين إلى صقلية، واجتمع عليه الأعوان، والأمراء، والوزراء، وقالوا له: أنت قتلتَ جيوشَنا. فقتلوه.

وعلى فرض أن قسطنطين هذا نجح في الوصول إلى الشواطئ الشمالية للشام، فمن يستطيع أن يجمع الجيوش لمحاربة هؤلاء الرومان، وأي جيوشٍ يجمعها، ففي كل بلد أمير، ولكل بلد جيشها، فمبايعة الخليفة إذن كانت أمرا من الضرورة بمكان.

وإذا نظرنا إلى المدة التي كانت فيها الشورى لاختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن المسلمون في تلك المدّة القصيرة دون أمير، بل كان أميرهم في هذه الثلاثة أيام هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأرضاه، فلا يصح بحال أن يمر على المسلمين يوم واحد دون أن يكون عليهم أمير، ولما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: قد خلعت ما في رقبتي في رقبة عثمان.

بل إن الصحابة رضي الله عنهم قد اختاروا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدفنوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولما مات الصديق رضي الله عنه بين المغرب والعشاء، بايع المسلمون في الفجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، فالأمر عظيم، وجلل، ولا يصح تأجيله بحال من الأحوال، وكان من الواجب على الجميع أن يبايعوا الخليفة الذي اختاره أهل الحل والعقد، واختاره أهل المدينة والكثرة الغالبة من أهل الأمصار، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

سؤال: من الذي استخلفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المدينة عندما توجه إلى الكوفة؟

الإجابة :استخلف رضي الله عنه قثم بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وهو ابن أخيه، ولم يستخلف أحداً من أهل الفتنة، بل أخذهم معه في الجيش، وأَخْذِه لهم معه في الجيش ضرورة اضطر إليها، وهو رضي الله عنه أكثر الناس كراهية لهم،

ولما سمع رضي الله عنه أن جيش السيدة عائشة يدعون: اللهم العن قتلة عثمان، قال علي رضي الله عنه: اللهم العن قتلة عثمان، ولم يأخذهم معه حبا فيهم أو مساندة لهم.

قصة ماء الحوأب ونباح الكلاب

ذكروا أن السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها ومن معها مروا في مسيرهم ليلا بماء يقال له الحوأب، فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟

قالوا: الحوأب.

فضربت بإحدى يديها على الأخرى، وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظنني إلا راجعة.

قالوا: ولم؟

قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه: ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب.

ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، وقالت: ردوني ردوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب.

يقول ابن العربي في العواصم من القواصم أن هذه الرواية لا أصل لها، ولم ترد، وأنها غير صحيحة.

لكن البعض صحح هذا الحديث، والشيعة في كتبهم، وكذلك بعض الكتّاب من السنة الذين ينقلون دون تمحيص، أو تدقيق يذكرون هذه القصة في كتبهم ويعلّقون عليها بقولهم: إن السيدة عائشة لما عزمت على العودة لشكها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عناها بأنها هي التي ستنبحها كلاب الحوأب،

وأنها بذلك تفرق كلمة المسلمين يقولون أن طلحة بن عبيد الله، والزبير، وعبد الله بن الزبير اجتمعوا على السيدة عائشة، وأقسموا لها أن هذا المكان ليس ماء الحوأب، وأتوا بخمسين رجل شهدوا على ذلك، فيقول المسعودي وهو من كبار علماء الشيعة في كتابه (مروج الذهب) عن هذه الشهادة: فكانت أول شهادة زور في الإسلام.

وهذا الحديث كما ذكرنا ليس له أصل، وإن صح فليست السيدة عائشة رضي الله عنها هي المعنية بهذا القول، وإنما قالت ذلك- إن كانت قد قالته- تقوى وخشية أن تكون هي المقصودة بهذا الكلام، وأن عبد الله الزبير بن العوام قد قال لها أنها ما خرجت إلا للصلح بين المسلمين، وأن هذا لا ينطبق عليها مطلقاً، وتذكر رواية أخرى، وهي مشكوك في صحتها أيضا تقول:

إن إحدى الجاريات كانت موجودة مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم حين وجه إليهن هذا الكلام، وأن هذه الجارية ارتدت، وقتلت على يد خالد بن الوليد في حروب الردة، وهي المقصودة في الحديث.

ولو صحت الرواية الأولى لكان من المستحيل على السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها أن تكون قد علمت، وتيقنت أنها صاحبة هذا الأمر، واستمرت فيه، ومن المستحيل على الصحابة الأخيار الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعا، من المستحيل أن يكونوا قد شهدوا زورا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد لهم بالجنة.

رءوس الفتنة يدبرون ويخططون

بعد أن أوشك الطرفان أن يصلا إلى موقف موحد بعد حديث القعقاع مع السيدة عائشة وطلحة والزبير وبعد أن ذهب علي رضي الله عنه بمن معه من القوم إلى السيدة عائشة، ومن معها، وجاء الليل، وبات الفريقان خير ليلة مرت على المسلمين منذ أمد بعيد، ونام أهل الفتنة في شر ليلة يفكرون كيف سيتخلّصون من هذا الصلح الذي سيكون ثمنه هو رقابهم جميعا، وخططوا من جديد لإحداث الفتنة.

في هذا الوقت أشار بعض الناس على طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما أن الفرصة سانحة لقتل قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك لأن عليا رضي الله عنه عندما توجه للصلح مع القوم قال: لا يصحبنا أحدا شارك، أو أعان على قتل عثمان بن عفان.

فانسلخ من قتل، ومن شارك، وتقدم بقية الجيش للبصرة، فأصبح أهل الفتنة بعزلة عن جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فرفض طلحة والزبير رضي الله عنهما، وقالا: إن عليا أمر بالتسكين.

فمن الواضح أن لديهم قناعة تامة بالصلح والأخذ برأي علي رضي الله عنه.

واجتمع قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتشاوروا في الأمر، فقال بعضهم: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم، فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان.

فهم يريدون هنا قتل علي رضي الله عنه أيضا، وهذا مما يدل بشكل قاطع أن عليا رضي الله عنه لم يكن له أي تعاون مع هؤلاء القتلة، فها هم يريدون قتله، حتى تظل الفتنة دائرة.

فقام عبد الله بن سبأ وقال: لو قتلتموه لاجتمعوا عليكم فقتلوكم.

وهذه الفئة كما نرى إنما هم أهل فتنة، ويطلبون الحياة الدنيا، أما جنود علي رضي الله عنه، ومن مع السيدة عائشة رضي الله عنه، إنما يريدون الآخرة، وإرضاء الله تعالى، والجنة، ويظنون أنهم على الحق، ويجاهدون في سبيل الله، ويحتسبون أنفسهم شهداء في سبيل الله إن قتلوا في ميدان الحرب.

فقال أحد الناس: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها.

أي يرجع كل إلى قبيلته، ويحتمي بها، فرفض عبد الله بن سبأ هذا الرأي أيضا وقال: لو تمكّن علي بن أبي طالب من الأمور لجمعكم بعد ذلك من كل الأمصار وقتلكم.

وكان عبد الله بن سبأ معهم كالشيطان يرتّب لهم الأمور حتى يتم اختيار الرأي الصائب من وجهة نظرهم.

فأشار على مَنْ معه مِنْ أهل الفتنة في تلك الليلة التي كان المسلمون سيعقدون الصلح في صبيحتها أن تتوجه فئة منهم إلى جيش الكوفة، وفئة أخرى إلى جيش البصرة، وتبدأ كل فئة منهما في القتل في الناس، وهم نيام، ثم يصيح من ذهبوا إلى جيش الكوفة ويقولون: هجم علينا جيش البصرة.

ويصيح من ذهب إلى جيش البصرة ويقولون: هجم علينا جيش الكوفة.

وقبيل الفجر انقسم أهل الفتنة بالفعل إلى فريقين، ونفذوا ما تم الاتفاق عليه، وقتلوا مجموعة كبيرة من الفريقين، وصاحوا، وصرخوا أن كل من الفريقين البصرة، والكوفة قد هجم على الآخر، وفزع الناس من نومهم إلى سيوفهم وليس لديهم شك أن الفريق الآخر قد غدر بهم، ونقض ما اتفق عليه من وجوب الصلح، ولم يكن هناك أي فرصة للتثبت من الأمر في ظلام الليل وقد عملت السيوف فيهم، وكثر القتل، والجراح، فكان هم كل فريق هو الدفاع عن نفسه }وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا] {الأحزاب:38.[

وكان أبو سلام الدالاني قد قام إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تلك الليلة، وقبل أن يحدث القتال، وسأله: هل لهؤلاء القوم- يعني السيدة عائشة، وطلحة والزبير رضي الله عنهم جميعا- حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟

قال: نعم.

قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟

قال: نعم.

قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدا؟ أي بالقتال بيننا وبينهم.

قال: إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقّي قلبه لله، إلا أدخله الله الجنة.

وهذا لأن كل واحد منهما كان متأولًا أنه على الحق، واجتهد في ذلك، فمنهم من أصاب، فله أجران، ومنهم من أخطأ، فله أجر واحد، ولا ينطبق عليهم الحديث: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ.

بداية القتال فى موقعة الجمل

بدأت الحرب يوم الأربعاء 15 جمادى الثاني سنة 36 هـ، 7 من ديسمبر سنة 656 م، واستيقظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه من نومه على صوت السيوف، والصراخ، والصياح، ولا يعلم من أين بدأ القتال، وكيف نشب بين الفريقين، وكذلك الحال في معسكر السيدة عائشة رضي الله عنها ومن معها طلحة، والزبير، وابنه عبد الله، وسائر الجيش، وصرخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الناس أن كُفّوا، لكنه لم يستطع لشدة المعركة، فلما نظر رضي الله عنه إلى المسلمين تتطاير رءوسهم بأيدي بعضهم البعض فقال: يا ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة.

ونادى في الناس: كفوا عباد الله، كفوا عباد الله، ثم احتضن ابنه الحسن، وقال: ليت أباك مات منذ عشرين سنة.

فقال له: يا أبي قد كنت أنهاك عن هذا.

قال: يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا.

فلم يكن يتوقع أحد أن تتفاقم الأمور إلى هذه الدرجة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ذلك: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وظل رضي الله عنه في محاولة كف الناس عن القتال، لكنه لم يستطع، وقد عمت الفتنة، واشتد القتال.

وكان ممن التقى بسيفه مع الآخر في هذه المعركة الزبير بن العوام، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما.

كم من المرات قاتلا جنبا إلى جنب تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر، وما بعدها، وكان عمر عمار بن ياسر حينها تسعين سنة، وعمر الزبير بن العوام خمسة وسبعين سنة، ومع قدرة الزبير على قتل عمار رضي الله عنهما،

إلا أنه لا يستطيع فقد تحملا معا الكثير في سبيل بناء الدولة الإسلامية التي يهدم اليوم من دعائمها الكثير، وقد تربيا معا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعذّبا كثيرا في سبيل الله، ولكنها الفتنة، وما كان لهما أن يتقاتلا، وهما في هذا العمر دفاعا عن باطل، أو رغبةً في الدنيا.

فيقول الزبير رضي الله عنه لعمار بن ياسر رضي الله عنه: أتقتلني يا أبا اليقظان؟

ويضربه عمار بن ياسر رضي الله عنه بالرمح دون أن يدخله في صدره ويقول له: لا يا أبا عبد الله.

ويخشى الزبير بن العوام أن يكون ممن وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالفئة الباغية حين قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه" :ويحك ابن سميَّة تَقْتُلُك الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ."

فيخشى الزبير رضي الله عنه أن يكون من هذه الفئة الباغية، ويريد أن يكف عنه، وهذا ما حدث، ولم يقتل أحدهما الآخر.

ويبحث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، ويلتقيان، فيقول علي رضي الله عنه للزبير رضي الله عنه: أما تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم، فنظر إلي وضحك، وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه.

فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم" :إِنَّهُ لَيْسَ بِمُتَمَرِّدٍ لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ؟"

فقال الزبير: اللهم نعم! ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، ووالله لا أقاتلك.

وبعدها أخذ الزبير بن العوام رضي الله عنه خيله، وبدأ في الرجوع عن القتال، ولم يأخذه الكبر والعزة، وهو أحد رءوس الجيش الذي يبلغ تعداده ثلاثون ألفًا، وذلك لما ذُكِّر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبينما هو ينسحب من ساحة القتال، ويعود، يقول له ابنه عبد الله بن الزبير: جمعت الجموع، ثم تعود.

فيقول الزبير رضي الله عنه: والله لا أقاتل عليا.

ويخرج الزبير رضي الله عنه من ساحة القتال متجها إلى مكة، وفي منطقة تِسمى وادي السباع، وعلى بعد أميال قليلة من البصرة يتبعه عمرو بن جرموز، وهو ممن كان في جيش علي رضي الله عنه، ومع الزبير رضي الله عنه غلامه، فيقول ابن جرموز لهما: إلى أين المسير؟

فيقولان: إلى مكة.

فيقول: أصحبكما.

وفي رواية أن الزبير رضي الله عنه كان يقول: إني أرى في عين هذا الموت.

ويأتي وقت الصلاة، فيؤمهما الزبير رضي الله عنه، وبعد أن يكبر تكبيرة الإحرام يهجم عليه ابن جرموز، ويقتله، وهو يصلي،

ثم يأتي بسيف الزبير رضي الله عنه إلى علي رضي الله عنه فرحا مسرورا، ظانا بذلك أنه يدخل السرور على قلب علي رضي الله عنه، ويصل الخبر إلى علي رضي الله عنه، فيبكي بكاء شديدا، ويرتفع نحيبه، ويمسك سيف الزبير رضي الله عنه ويقول: طالما كشف هذا السيف الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورفض علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يدخل عليه عمرو بن جرموز وقال: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، فلما أُخبر بهذا ابن جرموز قتل نفسه فباء بالنار، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولا زال القتال مستمرا بين الفريقين، وكان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقاتل بيده اليسرى، بينما كانت يده اليمنى شلّاء من يوم أُحد، حين صد بها الرمح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبينما هو يقاتل، وكان عمره أربعا وستين سنة، أتاه سهم طائش لا أحد يعرف مصدره، ويقول من يكرهون الدولة الأموية :إن الذي رماه بالسهم هو مروان بن الحكم.

ولم تثبت أي رواية هذا الأمر، وقتل هو الآخر رضي الله عنه وأرضاه، وقد كان هو والزبير رضي الله عنهما من أوائل من أسلم من الصحابة، وظلوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي حياتهم كلها مجاهدين في سبيل الله، ويتزعم الجيش في هذا الوقت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وعن أبيه وأرضاهما.

ويشتد القتال بين الفريقين وتتطاير الرءوس، والأيدي، والأرجل، ويذكر الرواة أن هذه الموقعة كانت أكثر المواقع قطعا للأيدي والأرجل.

موقف السيدة عائشة رضي الله عنها من موقعة الجمل

وحتى هذه اللحظة لم تدخل السيدة عائشة رضي الله عنها ساحة القتال، فيذهب إليها كعب بن ثور قاضي البصرة ويقول لها: يا أم المؤمنين، أنجدي المسلمين.

فتقوم السيدة عائشة رضي الله عنه وأرضاها، وتركب الهودج ويوضع على الجمل، وتدخل إلى ساحة القتال لتنصح المسلمين بالكف عن القتال، وعن هذه المجزرة التي لم تحدث من قبل في تاريخ المسلمين.

وتسيء كتابات من تربوا على أيدي الغرب إلى السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها في هذا الموقف، فيقول طه حسين في كتابه (علي وبنوه): إن السيدة عائشة خرجت تتحدث إلى من على يمينها محرضة، وإلى من على شمالها محمسة، وإلى من أمامها مذكرة، وأنها كانت تشجع الناس على القتال.

ويقول طه حسين أيضا: إن عليا رضي الله عنه عندما سمعهم يلعنون قتلة عثمان، قال: يلعنون قتلة عثمان، والله ما يلعنون إلا أنفسهم فهم قتلوه، اللهم العن قتلة عثمان.

ولا يصح من هذا كله إلا الجملة الأخيرة: اللهم العن قتلة عثمان، وقد قالها علي رضي الله عنه عندما سمع دعاء الفريق الآخر على قتلة عثمان، ولا ندري من أين أتى طه حسين بهذه القصة، وبهذا الكلام الذي لم يذكر أي توثيق له.

وعلى هذا النسق أيضا تقول زاهية قدورة في كتابها (عائشة أم المؤمنين): إن السيدة عائشة بدأت تحركاتها الظاهرة لنشر الدعاية ضد علي بحجة المطالبة بدم عثمان، بل إنها اتهمت عليا بقتل عثمان، ولهذه الخصوم بين عائشة وعلي أسباب:

1- أن عائشة كانت أول زوجة بنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خديجة رضي الله عنها، وخديجة هي أم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحقدت عليها فاطمة لأنها زوجة أبيها، وحزن علي رضي الله عنه لهم زوجته ونشأت بين علي وعائشة الخصومة بسبب هذا الأمر.

2- تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب السيدة فاطمة حبا شديدا، وقال عنها أنها سيدة نساء العالمين، فتقول الكاتبة إن هذا أيضا جعل الغيرة تزيد في قلب السيدة عائشة.

3- تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن عليا رضي الله عنه أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بتطليق السيدة عائشة بعد حادث الإفك قبل أن يتحقق الأمر، والنساء سواها كثيرا، وذلك لكراهته لها، وازداد الأمر تعقيدا كما تقول الكاتبة.

4- تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن السيدة فاطمة وزوجها سيدنا علي قد أظهرا الشماتة سرا أو جهرا- على خلاف- عندما اتهمت السيدة عائشة رضي الله عنها في حادث الإفك.

5- تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن عليا كان يحقد على السيدة عائشة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرب أباها أبا بكر رضي الله عنه أكثر منه، ومن ثَم حقد عليها، وحقدت هي عليه أيضا.

6- تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن السيدة عائشة لم تُرزق بأولاد بينما رزق علي وفاطمة بالحسن والحسين اللذين كان يحبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوجد ذلك الغيرة عند السيدة عائشة.

7- تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن النبي صلى الله عليه لما مرِض مرض الموت اختار بيت السيدة عائشة، فغضب علي لهذا الأمر.

8- تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن السيدة عائشة سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته يأمر أن يصلى أحد بالناس فقالت لبلال: اجعل أبا بكر يصلي بالناس، فحقد عليها علي لهذا الأمر واتهمها به، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قال الناس: كيف يرضاه الرسول لديننا بأن أمره أن يؤمهم في الصلاة ولا نرضاه لدنيانا.

فكان خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، فتشير الكاتبة بهذا أن هذه لعبة لعبتها السيدة عائشة ليتسلم والدها الخلافة، ثم تأتي الكاتبة برواية أخرى تقول أن العباس رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: امدد يدك أبايعك فيقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله. فلا يختلف عليك اثنان. فقال له علي: وهل يطمع فيها طامع غيري.

-9 تقول الكاتبة كاذبةً أيضا: إن بعد وفاة السيدة فاطمة ذهب سائر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وقدمن العزاء لعلي رضي الله عنه، ولم تذهب السيدة عائشة، ونقل على لسانها لعلي رضي الله عنه ما يدل على السرور.

ثم تقول الكاتبة: هذه هي الأسباب التي ظهرت في شكل خصومة انتهت إلى سفك الكثير من الدماء في موقعة الجمل.

وهذا الكتاب من المفترض أن يكون كتابا لأهل السنة، لكن كل مصادر الكتاب عن علم الكاتبة، أو عن جهلها، مصادر شيعية.

وما حدث أن السيدة عائشة رضي الله عنها عندما ذهب إليها كعب بن ثور يطلب منها نجدة المسلمين، ودخلت هودجها، ووضع الهودج على الجمل، ودخلت ساحة القتال نادت على المسلمين جميعا: الله الله يا بَنِي، اذكروا يوم الحساب.

وأعطت مصحفها لكعب بن ثور وقالت له: ارفعه بين الناس، لعل الله أن يزيل به ما بين الناس.

فلما أخذ المصحف، ورفعه تناوشته السهام، فقُتل لتوه، ودخلت السيدة عائشة بالجمل في ساحة القتال، ومن ثَم سميت الموقعة بموقعة الجمل، فكان الناس جميعا يقاتلون حمية حول الجمل بينما السيدة عائشة رضي الله عنها من داخل الهودج تأمر الناس بالكف عن القتال،

إلا أن الناس جميعا كانوا يتفانون في القتال حول الجمل، وقتل ممن يمسك بخطام الجمل سبعون رجلًا، فكان احتدام القتال، وقوته، ومنبعه من حول جمل السيدة عائشة رضي الله عنها، فأشار القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه بقتل الجمل، أو عقره مع المحافظة والحماية لهودج السيدة عائشة رضي الله عنها، وذلك حتى يهدأ القتال، وتزول الفتنة، واجتمع القوم على الجمل ليقتلوه، أو يعقروه، بينما الفريق الآخر يستميت في الدفاع عن الجمل، وكان آخر المدافعين عن الجمل عبد الله بن الزبير بن العوام، وهو ابن أخت السيدة عائشة رضي الله عنها، فلما أُخبرت السيدة عائشة بذلك قالت: واثكل أسماء.

فقد ظنت رضي الله عنها أنه سيموت في هذا الموقف، وقد جرح رضي الله عنه سبعة وثلاثين جرحا، وكان من المقاتلين الأشداء، لكنه لم يقتل رضي الله عنه، بل استمرت حياته، وامتدت بعد ذلك مدة طويلة.

بعد قتال مرير أفلح فريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عقر الجمل، ولما وقع الجمل انهارت معنويات جيش السيدة عائشة رضي الله عنها وبدأ الناس يفرون، وأصبح النصر في جانب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورشق هودج السيدة عائشة رضي الله عنها– قبل أن يسقط– بالرماح من كل جانب حتى أصبح مثل القنفذ كما يقول الرواة، ويأمر علي رضي الله عنه الناس بالكف عن ضرب الهودج بالسهام، والسهام لا تفرق بين الجمل، والهودج منها ما يرمي به أهل الفتنة، ومنها ما هو غير مقصود.

واجتمع المسلمون على هودج السيدة عائشة، فرفعوه من على الجمل المعقور ووضعوه على الأرض، وأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن تنصب على الهودج قبة، فنصبت عليه خيمة حتى يحفظ سترها رضي الله عنها، وجاءها أخوها محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان مشاركًا في حصار عثمان رضي الله عنه، لكنه تاب، وندم، وبكى، وعاد إلى صف المسلمين وحاول أن يرد القتلة بسيفه عن عثمان رضي الله عنه،

لكنه لم يستطع، وبعد ذلك بايع عليا رضي الله عنه، وها هو الآن يقاتل في صف علي رضي الله عنه، ونحسبه على خير، فقال للسيدة عائشة: هل وصل إليك شيء من الجراح فقالت له: لا، وما أنت بذاك، مما يدل على عدم رضاها عنه لما فعله ابتداء في حق عثمان رضي الله عنه.

ثم جاء عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان عمره يومئذ تسعين سنة بينما كان عمر السيدة عائشة رضي الله عنها أربعا وأربعين، أو خمسا وأربعين سنة، فقال لها رضي الله عنه: كيف أنت يا أم؟

فقالت: لست لك بأم.

فقال: بلى، أمي وإن كرهت.

علي بن أبي طالب وعائشة فى موقعة الجمل

وجاء إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسلِّماً، وسائلاً فقال: كيف أنت يا أم؟

فقالت: بخير.

فقال: يغفر الله لكِ. وفي رواية فقالت: ولكَ.

وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان من جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسلّمون على أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، فما زالوا يعظّمون هذه السيدة التي هي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والسيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها حتى نهاية المعركة كانت على يقين تام- بعد اجتهادها- أنها على الحق، وكانت أعلم الناس، وأكثر الناس رواية لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبي هريرة رضي الله عنه، وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول: كان إذا أُشكل علينا حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدنا عند عائشة علما من كل حديث.

وقد كانت رضي الله عنها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإطلاق، روى البخاري بسنده عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟

قال :عَائِشَةُ، فقلت: من الرجال؟ ، فقال :أَبوها .، قلت: ثم من؟ ، قال :ثُمَّ عمر بن الْخَطَّابِ، فعد رجالًا.

ولا خلاف بين أهل السنة أن السيدة خديجة، والسيدة عائشة رضي الله عنهما أفضل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كان الخلاف اليسير، أيتمها أفضل.

بعد أن انتهت المعركة أدركت أنها كانت على خطأ، وندمت على قدومها، وكانت بعد ذلك كلما ذُكرت موقعة الجمل، بكت، وتمنّت لو أنها قد ماتت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

ثم أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يوضع هودج السيدة عائشة– وهي فيه– في أفخر بيوت البصرة، وكان بيت رجل يسمى عبد الله بن خلف الخزاعي، تحت الحماية والحراسة معززة مكرمة.

ويذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليتفقد قتلى الفريقين، وكانت لحظات شديدة، وقاسية عليه رضي الله عنه، وكان يبكي بكاء مرا شديدا، ويمر رضي الله عنه على طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وهو مقتول، وشهيد في ساحة المعركة، ويجلس بجواره، ويبكي، ويقول: لهفي عليك يا أبا محمد، ويمر على محمد بن طلحة بن عبيد الله، والذي قُتل أيضا في هذه المعركة، فيبكي عليه، ويقول: هذا الذي كنا نسميه السجاد. من كثرة سجوده، وقد كان رضي الله عنه تقيا ورعا.

ويمر رضي الله عنه على القتلى من الفريقين يدعو لهم جميعا بالمغفرة والرحمة ويصلّي على الشهداء من الفريقين، ويأمر بدفنهم، وتَجمع الأسلاب وهو ما تركه جيش البصرة، فيضع علي رضي الله عنه هذه الأشياء في مسجد البصرة ويقول: من كان له شيء يعرفه فليأخذه.

ويأمر رضي الله عنه بعدم الإجهاز على الجرحى، بل مداواتهم، وعدم متابعة الفارين وألا يقتل أسير، وذلك لأن كلا الفريقين كان يظن أنه على الحق وكلاهما من المسلمين.

ويريد أهل الفتنة أن توزع عليهم الغنائم، ومن فقه علي رضي الله عنه أن قال بعدم وجود الغنائم بين المسلمين، وإنما تكون الغنائم من الأعداء، ومع إصرار أهل الفتنة على رأيهم، قال لهم علي رضي الله عنه: فلنقسم الغنائم، ففي سهم من تكون السيدة عائشة؟! فبهتهم بهذا القول، فتركوه، وانصرفوا.

ويذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السيدة عائشة رضي الله عنها في بيت عبد الله بن خلف الخزاعي، ويجهزها للذهاب إلى مكة بأفضل ما يكون التجهيز، ويختار لها أربعين امرأة هن أشرف نساء البصرة ليرافقنها إلى مكة، ومعها محمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم جميعا.

وعلى باب بيت عبد الله بن خلف الخزاعي ذُكر لعلي رضي الله عنه أن اثنين من الناس يذكران السيدة عائشة بسوء، فأمر بجلد كل واحد منهما مائة جلدة تعزيرا له على سبه أم المؤمنين، وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأمر كما نرى لم يكن فيه منتصر، ومهزوم بالمعنى الحربي؛ لأن الجميع من المسلمين، ومع كون الغلبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلا أنه كان أشد الناس حزناً، وأسفًا، وألماً، وكان هذا أيضًا شعور مَنْ غُلِب ومن غَلَب على السواء.

وقد استشهد في هذه المعركة العظيمة من كلا الفريقين عشرة آلاف؛ خمسة آلاف من جيش علي رضي الله عنه، وخمسة آلاف من جيش السيدة عائشة، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم جميعا، وكلٌّ من المسلمين، وقُتل على أيدي المسلمين، وهذا العدد الضخم في يوم واحد، بينما قُتل في معركة القادسية ثمانية آلاف ونصف، وشهداء اليرموك كانوا ثلاثة آلاف، وشهداء معركة الجسر التي كانت من أشد الكوارث على المسلمين كانوا أربعة آلاف، بينما شهداء موقعة الجمل عشرة آلاف بأيدي المسلمين، فكانت من أشد البلاء على المسلمين} وكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا] {الأحزاب:38 .[ويجزي الله تعالى من اجتهد منهم فأصاب أجران، ومن اجتهد فأخطأ أجرا واحدا، وكل من الأخيار.

نتائج المعركة

انتهى القتال وقد قتل طلحة بن عبيد الله بعد أن أصابه سهم في ركبته – وقيل في نحره –، ولا يعترف السنة بالروايات التي ذكرت أن مروان بن الحكم هو قاتل طلحة، لأنها روايات باطلة لم يصح بها إسنادوقد حزن أمير المؤمنين علي كثيراً لمقتله

فحين رآه مقتولاً جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: " عزيزٌ علي أبا محمد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء ثم قال: " إلى الله أشكو عجري وبجري وبكى عليه هو وأصحابه"

وقتل الزبير بن العوام ولما جاء قاتل الزبير لعله يجد حظْوة ومعه سيفه الذي سلبه منه ليقدّمه هديّة لأمير المؤمنين حزن عليه حزْناً شديداً وأمسك السيف بيده وقال: " طالما جلّى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:بشر قاتل بن صفية النار ولم يأذن له بالدخول عليه"

أما عن السيدة عائشة فقد قال رسول الله لعلي: (سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال علي فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: لا ولكن إذا كان ذلك فاردها إلى مأمنها(قال الإمام أبوبكر بن العربي المالكي: ولما ظهر علي، جاء إلى أم المؤمنين، فقال: (غفر الله لك) قالت: (ولك، ما أردت إلا الإصلاح). ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار في البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة الطلحات، وزارها ورحبت به وبايعته وجلس عندها.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل منهما مئة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما ففعلثم ردها إلى المدينة معززة مكرمة كما أمر الرسول .

حرص الزبير على أداء دينه

وعن حرصه على أداء دينه عند الموت: عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه ،،

ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟

قال: ما وقعت في كربة من دين إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه :

أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة..

قال: فقتل ولم يدع دينارا ولا درهما إلا أرضين، فبعتها – يعنى وقضيت دينه – فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا.

فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه،

فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف.

فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألفوقول البخاري، رحمه الله، محمول على أن جملة المال حين الموت

كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمةوقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير, وبارك الله له في أراضيه بعد موته، فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير..



وفاة الزبير بن العوام

كانت وفاته رضي الله عنه يوم الجمل عند منّصرفه تائبا من قتال أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ذلك سنة ست وثلاثين للهجرة.

وجاء في سبب مقتله في مستدرك الحاكم عن قيس بن أبي حازم قال: قال علي للزبير: "أما تذكر يوم كنت أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَتحبُّه" فقلت: ما يمنعني قال: "أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم". قال: فرجع الزبير.

وقال صاحب "العقد الثمين": "وكان الزبير رضي الله عنه قد انصرف عن القتال نادما".

وبعد انصرافه نادما عن معسكر معاوية بن أبي سفيان لحقه عمرو بن جرموز فقتله في وادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة

وأخذ رأسه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاستأذن عليه فقال الإمام علي: بشروه بالنار، وفي رواية أخرى أنه قال: بشروا قاتل ابن صفية بالنار.

وقد روى الذهبي بالإسناد عن أبي جروٍ المازني أنه قال: شهدتُ عليًّا والزبير حين توافقا، فقال علي: يا زبير، أنشدك الله، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنك تقاتلني وأنت لي ظالم قال: نعم، ولم أذكره إلا في موقفي هذا، ثم انصرف؛ قال يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: انصرف الزبير يوم الجمل عن علي فلقيه ابنه عبد الله فقال: جَبنًا جَبنًا، فقال الزبير: قد علم الناس أني لست بجبان ولكن ذَكَّرني عليٌّ شيئًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلفت أن لا أقاتله ثم قال:

ترك الأمور التي أخشى عواقبها * في الله أحسن في الدنيا وفي الدينِ

وفي "الوافي بالوفيات" للصفدي أن ابن جرموز حين بشَّره الإمام علي رضي الله عنه بالنار قال أبياتًا هي:

أتيت عليًّا برأس الزبير * وأرجو لديه من الزُّلفه

فبشَّر بالنار إذ جئتهُ* فبئس البشارة والتحفه

ولم يدع الزبير رضي الله عنه دينارا ولا درهما، إلا أرضين بالغابة وأربع دور بالمدينة والبصرة والكوفة ومصر، وكان عليه ديون سببها أن الرجل كان يجيء بالمال ليستودعه إياه فيقول له: لا ولكن هو سلف، إني أخشى عليه الضيعة. وقدَّر ابنه عبد الله ما عليه من الدين فبلغ ألفي ألف ومئتي ألف فباع أرضه التي بالغابة ونادى بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا لنقضه فلما مضت السنون الأربع قَسَّم الأموال المتبقية بين الورثة.

واشتهر عن حسان بن ثابت أبيات قالها في الزبير هي:

أقام على عهد النبي وهديه * حواريُّه والقول بالفعل يعدل

أقام على منهاجه وطريقه * يوالي وليَّ الحق والحق أعدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي * يصول إذا ما كان يوم محجَّل

إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها * بأبيض سباق إلى الموت يرقِل

وإن امرءا كانت صفية أمَّه * ومن أسد في بيتها لمؤثّل

له من رسول الله قربى قريبة * ومن نصرة الإسلام مجدٌ مؤثَل

فكم كربة ذبَّ الزبير بسيفه * عن المصطفى والله يعطي ويجزِل

ثناوك خير من فَعالِ معاشر * وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

رحم الله الزبير بن العوام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهرس